مركز المرأة العربية للتدريب والبحوث "كوتر" CAWTAR	الموضوع : العنف ضد المرأة	الرقم : 005.2
	المصدر : القدس العربي	البلد : لبنان
	التاريخ : 11 - مارس - 2003 ص "7"	

الاعتداءات تتكرر وأصابع الاتهام موجهة للشبان العرب

الذين «يستغلون التقاليد وفق اهوائهم»

حملة في فرنسا للدفاع عن الفتيات المهاجرات

شعارها «لا مومسات ولا راضخات»

باريس ـ «القدس العربي»

من عادل قسطل:

تجمع آلاف الاشخاص بعد ظهر السبت الماضي في ساحة «ريبوبليك» (الجمهورية) بباريس للفت انتباه الرأي العام لما آلت اليه وضعية الفتيات في أحياء ضواحي المدن الفرنسية وتدهور صورتهن الاجتماعية.

وكان الوزير الاول الفرنسي جون بيير رافاران قد استقبل في الفترة الصباحية ممثلات عن «المسيرة النسائية» التي انطلقت في بداية شهر شباط (فبراير) الماضي من مدينة فيتري بالضاحية الجنوبية لباريس وجابت كل المناطق الفرنسية.

ورفع المنظمون شعارا صعبا «لا قحـ...ات ولا راضخات»، ولكنه يعكس فعلا الذهنية السائدة اليوم في الضواحي حيث ينكل بالفتيات تنكيلا. وأبرز أشكال هذه المعاملة السيئة ما اصطلح على تسميته بـ«الدوائر». ويتعلق الامر بكلمة جديدة في قاموس الاجرام بفرنسا ترمز الى الاغتصابات الجماعية حيث «تدور» الفتاة من هذا الشاب الى ذاك حتى يقضي الجميع منها حاجته الجنسية. وعندما تخرج الى الشارع يشار اليها بالاصابع وتهمس الالسنة أنها «دارت».

وعرفت فرنسا في الاسابيع والاشهر الاخيرة أحداثا خطيرة هزت المشاعر، كان أبرزها تعرض الفتاة سهان البالغة من العمر 17 سنة والمنحدرة من أصل جزائري للحرق في تشرين الاول (أكتوبر) على يد شاب أراد اجبارها على الخلو معه، ولما رفضت صب عليها كمية من البنزين وأشعل فيها النار.

وقعت هذه الجريمة في حي بالزاك ببلدة فيتري في الضاحية الجنوبية لباريس حيث انطلقت فيما بعد «المسيرة النسائية». وفي ذاك السياق، نشرت الشابة سميرة بليلي قصتها في شكل كتاب وهي أول فتاة تتحدث علنا عن ظاهرة الاغتصابات الجماعية التي استولت على أحياء الضواحي الفرنسية. وبليلي من المبادرات بالمسيرة.

واغتصبت سميرة بليلي أول مرة عندما كان عمرها 14 سنة، وهي تروي في كتابها أن ذلك الاعتداء فتح الطريق أمام اغتصابات متكررة دامت ثلاث سنوات كاملة. ولم تتخلصْ سميرة نفسيا من ذلك الكابوس الا وهي في التاسعة والعشرين فاستأنفت حياتها من جديد وعالجت نفسها بالكتابة. عنوان كتابها هو «في جحيم الدوائر» وأهدته لكل الفتيات «اللواتي لا يستطعن الكلام»، وهن أكثرية حسب مسؤولي «الفيدرالية الوطنية لديار الاصحاب» (Maisons de potes) التي تابعت «القدس العربي» تحركاتها منذ أكثر من شهر.

ولا بد هنا من كلمة صغيرة حول «الفيدرالية الوطنية لديار الاصحاب» من أجل فهم العلاقة بين الهجرة والحركة المنددة باضطهاد الفتيات في ضواحي المدن الفرنسية. برزت كلمة «الصاحب» (Pote) كمفهوم سياسي واجتماعي في الثمانينات، وهو يرمز للمهاجر أو ابن المهاجر الذي استهدفته اعتداءات عنصرية انتهت أحيانا بالقتل.

وتحركت حينئذ القوى المناهضة للعنصرية ورفعت شعار «لا تلمس صاحبي» بالتزامن مع بداية عهدة الرئيس السابق فرانسوا ميتران. واستُغلت الحركة سياسيا، بل أوصلت بعض روادها الى مناصب قيادية في الحزب الاشتراكي.

وبقي العمل الجمعوي قائما فتأسست جمعيات عديدة منها «الفيدرالية الوطنية لديار الاصحاب»، وجمعية «أس أو أس راسيزم» التي يرأسها اليوم الجزائري مالك بوتيح وتنوبه وجوه معروفة أهمها المغربية لبنى مليان وهي أيضا من القائمات على «المسيرة النسائية».

الاغتصاب الجماعي «موضة» الضواحي

وعن الجملة البذيئة المكتوبة على صدرها في التجمعات التي حضرت «القدس العربي» بعضا منها قالت لبنى: «هذه الجملة هي جزء بسيط جدا مما يقال للفتيات في كثير من الاحياء الفرنسية اليوم. قد يكون في استعمالنا لها شيء من الاستفزاز والوقاحة، ولكن ذلك من شأنه أن يحدث صدمة في المجتمع، وبعض الصدمات ضرورية لأنها تعالجنا من أمراضنا».

وتشرف رسميا على هذه الحملة فضيلة عمارة وهي ناشطة جمعوية من أصل جزائري وترأس «الفيدرالية الوطنية لديار الاصحاب». اعترفت فضيلة في تصريح لـ«القدس العربي» بأن هذه الحركة التي تقف وراءها فتيات عربيات «أثارت غضب بعض أفراد الجالية العربية والاسلامية كأننا فضحنا عيوبا داخلية لا يجوز اخراجها للعلن. ولكي لا يفهمنا أفراد الجالية خطأ أشدد في كل تصريحاتي على تمسكي بالاسلام تفاديا لتهم الخيانة التي قد تلحق بنا».

صحيح أن في رؤية سميرة بليلي صاحبة كتاب «في جحيم الدوائر» على شاشة التلفزيون وهي تروي ما حدث لها بالتفاصيل حرج كبير للعرب الغيورين على سمعتهم، ولكن واقع المهاجرين ليس ورديا بل فيه كثير من المآسي والانحرافات الخلقية. وهذا ما أرادت سميرة التنديد به بانضمامها الى الحركة.

لقد استولى الهاجس الامني على الفرنسيين الى درجة مقلقة. ولئن كانت للأجرام «موضات» مختلفة، فإن الاغتصاب في أحياء الضواحي الشعبية هو «الموضة» الاكثر انتشارا اليوم، وكاد يصير شيئا عاديا في أذهان كثير من الشبان (جزء كبير منهم من أصل عربي) لا يرون في إجبار فتاة على الخضوع لعلاقة جنسية مع مجموعة من الشبان في أقبية العمارات وفي المستودعات شيئا مخالفا للقانون، بل اثارة لها و«مساعدة» لها على تعلم المتعة مع أكثر من رجل لاكتشاف أبعاد غرائزية جديدة.

شعار موجه للذكور

وروجت المشاركات في «المسيرة النسائية» التي توقفت أمس الاول في ساحة «ريبوبليك» بباريس لنداء شددت فيه على ضرورة الربط بين مكافحة العنصرية والاقصاء والمطالبة بالحرية والحقوق. وقالت فضيلة عمارة عن شعار «لا قحـ...ات ولا راضخات» أنه «موجه للذكور الذين يعتبرون كل فتاة تتصرف بحرية «قحـ...ة»، وللمجتمع الذي يظن أن الفتيات رضخن للأمر الواقع ولا يقاومن».

ونددت المشاركات في الحملة بالاتهامات الدائمة المسلطة على الفتيات اللواتي يلبسن ما يحلو لهن من ثياب ويتحدثن مع من يشئن في الشارع. ونددت أيضا بالمجلات والافلام الجنسية التي تجعل من النساء بضائع جنسية ليس الا.

اهتمت البرامج التلفزيونية الفرنسية كثيرا بهذا الموضوع وخصصت لها حيزا كبيرا لا يخلو من الاثارة، وبعضها شدد على الخصوصيات الثقافية لسكان الضواحي وجزء كبير منهم عرب. وطفت على السطح تابوهات مثل العذرية وراحت الكاميرات تستنطق فتيانا وفتيات من أصل عربي حول هذه القضايا بنوايا ليست كلها بريئة حتى اعترف البعض بالاساليب الجنسية

جانب من تجمع يوم السبت بباريس توّج مسيرات عدة بمدن فرنسية مختلفة. ثم سميرة بليلي التي تعرضت لاغتصاب جماعي بالضواحي، ولبنى مليان احدى المشرفات على التظاهرات («القدس العربي»)

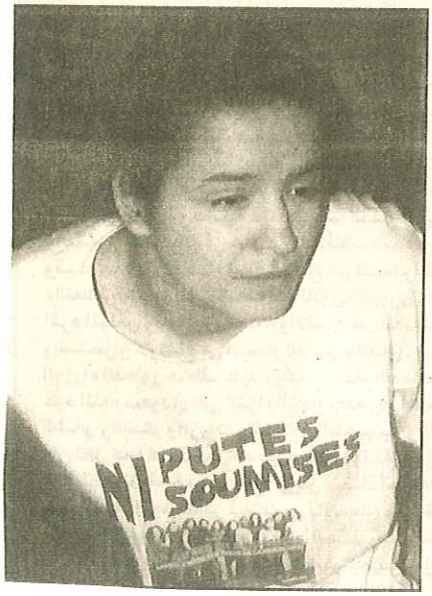

المستعملة لاشباع الرغبة دون تمزيق غشاء البكارة.

ووجهت أصابع الاتهام الى الشبان الذين يترجمون تقاليد آبائهم حسب ما يخدم مصالحهم وشهواتهم، ويفعلون ببنات الغير ما لا يرضونه لأخواتهم.

عيوب الجالية العربية في فرنسا كثيرة، ولكن طرحها من زاوية التقاليد لا يخدم مصلحتها بالضرورة. وإن كان لا بد من استخراج دروس ايجابية من هذه الحملة فهو ابراز بعض الوجوه العربية ودفعها الى مواقع متقدمة في العمل الجمعوي والسياسة.

ويمكن اعتبار لبنى مليان أحسن مثال على ذلك، فقد عرفت في 1998 كناطقة باسم كل تلاميذ الثانويات الفرنسية. ونشاطها من أجل تحسين ظروف الفتيات في المدن الفرنسية سيجعل منها حتما واحدا من أبرز الوجوه النسائية الفرنسية في المستقبل.